(٢) محمد نبيي

أنا جملٌ محظوظ، لست كبقيَّة الجِمال، فقد وهبني الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مزيَّةً لم يعطها لأبناء جنسي من النوق والجمال جميعها، ولهذا قصة جميلة عذبة سوف أقصها عليكم:

كنت أعيش في زمن بعيد عن زمانكم لكنه زمن حبيب إلى قلوبكم فقد كان يعيش في نفس هذا الزمان أحبُّ خلق الله إلى قلب كلِّ مسلم، سيدنا محمد رسول الله ﷺ، كان صاحبي -الذي يملكني- رجلًا من الأنصار، من أهل المدينة التي يسكنها نبينا محمد ﷺ، كنت أخرج كلَّ يوم مع صاحبي هذا إلى بئر في المدينة، فنأتي منه بالماء ليشرب منه أهلُ البيت ويصنعوا منه طعامهم ويغسلوا منه ثيابهم وآنيتهم، ويسقوا منه دوابهم، كنت أواظب على هذا العمل كلَّ يوم بلا كلل ولا ملل، وأؤدِّي عملي بانتظام دون كسل أو خلل، لكن أصحابي كانوا يهملون في طعامي وشرابي، وربما لا يقدمونه إليَّ، وكانوا يُدئبونني في

العمل الشاقِّ ويُتعبونني فيه، ومع ذلك فقد كانوا يأخذون حقَّهم منِّي كاملًا!

وفي يوم من الأيام علمتُ أنَّ أرحم الخلق نبيَّنا ﷺ سوف يأتي إلى البستان الذي يملكه صاحبي ففرحتُ جدًّا برؤيته والنظر إليه، وعزمت إن رأيتُه أن أشكو إليه صاحبي وما يفعله بي، وكانت سعادتي لا توصف حين دخل النبيُّ ﷺ البستان وأنا موجود، فلمَّا رأيته بثثته شكواي، يا لفرحتي! لقد سمعني، وأنصت إليَّ وعرف شكواي، وقد بكيت حتى ذَرفتْ عيناي وأنا أشكو إليه فمسح دمعي وهدأني حتى سكنت ولم أعد أبكي، ثم نادى على صاحبي وقال له: «أفلا تتقي الله في هذا الجمل الذي ملكك اللهُ إيَّاه؟ فإنَّه شكا لي أنك تجيعه وأنَّك تتعبه في العمل»[1]، فكان كلامه ﷺ مع صاحبي سببًا في أن يرفق بي، فصار يقدِّم إليَّ الطعامَ اللذيذَ الوفير، وخفَّفَ عنِّي كثيرًا من الأعمال، وأصبحت سعيدًا بعملي وخدمة صاحبي.

(١) حديث صحيح؛ رواه أحمد (١٧٥٤)، وأبو داود (٢٥٤٩)، والحاكم (٢٤٨٥)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الألباني: صحيح، انظر السلسلة الصحيحة (٢٠)، وصحيح أبي داود (٢٢٢٢).

هذه هي قصَّتي يا أحبَّتي!

لقد بعث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رسوله محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، الإنس والجنِّ، والبشر والحيوانات والطير، وجميع المخلوقات، وكانت حياته ﷺ رحمة للخلق جميعًا، ولهذا فمن يعرفه يؤمن به، ويحبُّه، ويتأدَّب معه، ويطيع أوامره.